كنوز البحار وغرائب انتشالها

٣

كانت السفينة لوتين « Lutine » وهي من سفن الاسطول الانكليزي التي غنمها الاميرال دنكان من الفرنسويين في القرن الثامن عشر راسية في ميناء بارموث ببلاد الانكليز في اوائل اكتوبر سنة ١٧٩٩ وكانت نيران الحرب مشتعلة حينئذ بين انكلترا وهولندا والجنود الانكليزية المعسكرة على شواطئ هولندا تنتظر بفارغ صبر وصول المال لتوزّع عليها مرتباتها . فصدر الامر الى السفينة لوتين بان تنقل الى المعسكر الانكليزي ١٤٠ الف جنيه . ولما عرف بعض التجار الانكليز بقرب سفر اللوتين استأذنوا الحكومة في ارسال مقدار من الذهب والفضة الى تجار همبرج الذين شدّت عليهم الحربُ خناقَ الضائقة المالية فاذنت الحكومة لهم في ان يرسلوا بها ١٠٠٠ سبيكة من الذهب و٥٠٠ سبيكةٍ من الفضة وأمّن على كلّ هذه الاموال في شركة لويد البحرية بمبلغ ٩٠٠ الف جنيه

اقلعت السفينة من بارموث ولكنها لم تسر قليلاً في البحر الشمالي حتى هبّت عليها ريح لم تلبث ان تحولت الى عاصف شديد فثار البحر وتلاطمت الامواج فغرقت السفينة بمن فيها لم ينجُ من رجالها سوى رجل واحد لم يكد ينتهي من قصّ قصتها حتى سقط ميتاً من الاعياء

وكان غرقُ هذه السفينة ضربةً كبيرةً على شركة لويد . الاّ ان رؤساءها جمعوا المال اللازم وقاموا بايفاء ما عليهم للحكومة والتجار ونالوا لقاء ذلك الحق في ان ينتشلوا السفينة من قاع البحر و يستولوا على ما فيها من الاموال. على انهم لم يستطيعوا ان يباشروا العمل بعد هدوء العاصفة حين كان الوصول الى الباخرة سهلاً لان الحرب كانت ناشبة بين هولندا وانكلترا وكان غرق السفينة في المياه الساحلية التابعة لحكومة هولندا . فلما وضعت الحرب اوزارها صرحت حكومة هولندا انها تحتفظ بحقها في نشل هذه السفينة واعلنت للساكنين بانها تمنحهم ثلث ما ينتشلونهُ من اموالها . ومع ان معظم المال في تلك السفينة كان عزيز المنال عليهم لصعوبة الوصول اليهِ بالوسائل العادية الاّ انهم نشلوا منها ما يساوي ٥٦ الف جنيه اصابهم منها ١٨ الفاً . واذا حسبنا ان هؤلاء الصيادين

لم يعطوا الحكومة كلَّ ما وصل اليهم من الذهب بل احتفظوا بمبلغ يساوي ما اعطوها اياهُ كان كلُّ ما نشلوهُ قليلاً جدًّا اذا قيس بالقيمة الاصلية وهي تزيد على مليون جنيه

وجاءت العواصف متتالية فبعدت بالسفينة الى حيث تعذَّر على الصيادين الوصول اليها فامتنعوا عن البحث . وبقيت هناك هدفًا للعواصف والامواج تتقاذفها وتتلاعب بها في اثناء حروب نبوليون فلم يتفرغ احد للبحث عنها حينئذٍ . ولما أُسر نبوليون ونُفي الى جزيرة القديسة هيلانة وخمدت نار الحروب النبوليونية استأذن هو لندي حكومتهُ في البحث عن الاموال التي غرقت في تلك السفينة على ان ينال هو نصف ما ينتشلهُ ويعطي النصف الباقي الى الحكومة . فاشتغل ثماني سنوات متتابعة غالب في اثنائها البحر والاحوال الجوية من غير ان تكتحل عيناهُ برأى الاصفر الرنان . ولما قنط من النجاح تخلى عن العمل

على ان اصحاب شركة لويد لم يقنعوا بذهاب السفينة منهم غنيمة باردة بعد ما دفعوا قيمة التأمين عليها فسعوا لدى حكومة انكلترا وحملوها على التفاوض مع الحكومة الهولندية لعلَّها تتخلى عن حقها في البحث عن السفينة الغارقة . فمضت السنون قبلما تمَّ الاتفاق بين الحكومتين على ذلك وكان قد مضى حينئذٍ نحو خمسين سنة منذ غرقت السفينة وصارت تحت كثبان من الرمال التي تتقاذفها الامواج في البحر كما تسفيها الرياح في الصحراء. وبعد ما قضى رجال شركة لويد نحو خمس سنين في البحث عنها من سنة ١٨٥٢ — ١٨٦١ لم يفوزوا باكثر من ٤٠ الف جنيه

على ان الغواصين تمكنوا في احد الايام من نشل جرس السفينة فنقل الى لندن وعُلِّق في بورصتها في جناح شركة لويد وهو مستعمل الآن لاذاعة انباء السفن التي ينتظرها اصحابها بفارغ صبر فيُدق هذا الجرس معلنًا غرق سفينة او وصول مركب تأخر عن ميعاده. ونشل الغواصون في وقت آخر دفة السفينة فصنع منها كرسيٌّ وضع في الغرفة التي تجتمع فيها لجنة شركة لويد الادارية

وتوالت البعثات التي حاولت نشل اموال هذه السفينة فشلت كلها مع ان بعثتي سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١١ كانتا مجهزتين باحدث المستنبطات واقوى المضخات التي ترفع الرمل. ولما كانت البعثة الاخيرة على قاب قوسين او ادنى من الفوز هبت العواصف وهاج البحر وفعلت المجاري المائية فعلها في تغطية السفينة بطبقة من الرمل عمقها خمس اقدام فعادت

البعثة يخني حنين . على ان شركة لويد لم تنسَ اللوتين وقد جاءها منذ سنة تقريباً طلب من رجل في فانكوفر بكندا يقول فيه انهُ مستعدٌ لمباشرة البحث من جديد عن هذا الكنز الخلاب

***

هذا ما وقع للباحثين عن كنوز اللوتين . على ان الغواصين الذين تصدّوا لانتشال الاموال التي غرقت في سفينة اخرى اسمها سكيرو Skyro كانوا اكبر حظاً . ذلك ان هذه الباخرة اقلعت سنة ١٨٩١ من مرفأ قرطاجينة على شاطئ اسبانيا الشرقي ميممة لندن فدارت حول جبل طارق وخرجت الى الاوقيانوس الاتلنتيكي فسارت محاذية لشواطئ البورتغال والبحر رهوٌ وكل شيء على ما يرام. الاّ انها ما حاذت شواطئ اسبانيا الغربية الى شمال البورتغال حتى اكتنفتها ضبابة كثيفة فجعلت تنفخ ابواقها تحذيراً للبواخر الاخرى من الاصطدام بها . وصار قبطانها كأنهُ يتلمس الطريق تلمساً في ذلك الرقيع الواسع

واذا السفينة تهتز هزة عنيفة على حين فجأة . ذلك انها كانت قد سارت فوق صخور ناتئة فمزقتها تمزيقاً . ولم تمضِ عليها عشرون دقيقة حتى امتلأت ماءً وهوت بمن فيها الى الاعماق

ولما وصل النبأ الى لندن قرع جرس اللوتين في بورصتها واذيع النبأ فوقفت الاعمال دقيقة من الزمان ثم عادت الى ما كانت عليهِ . على ان جماعة من اصحاب الشركات البحرية بدأوا يتحدثون عن نقلها او نقل ما فيها من الاموال فقال احدهم ان الوصول اليها متعذر لانها على ٢٥ قامة تحت سطح البحر فاجابهُ آخر قد يتمكن احد الغواصين من الوصول اليها . وقد كان في جوابهِ هذا على جانب الصواب . فكم من مرة يفلح بعض الناس في تحقيق ما يُحسَب متعذراً او مستحيلاً

وبعد التحري وُجد ان السفينة كانت على نحو ثلاثين قامة تحت سطح البحر ولم يكن احد من الغواصين قد تمكن من الغوص الى ذلك العمق قبلاً فذهبت بعثة الى مكان الحادثة ولم تلبث ان عادت ادراجها لان العمق كان فوق طاقة الغواصين

ومضت اربع سنوات من غير ان يحاول احد انتشال الاموال التي في هذه الباخرة وفي اول السنة الخامسة لما هدأت عواصف الشتاء وقرّت اللجج تألّبت بعثة جديدة لذلك الغرض ومن افرادها غواص لا يهاب الموت لبس ثوب الغوص وغاص الى عمق ١٧١ قدماً فوصل الى دكة الباخرة وحاول الدخول الى الغرفة التي خزنت فيها الاموال لكنهُ

وجد ان دكة الباخرة قد هبطت عليها فلم يجد اليها منفذاً الاَّ بخرق الدكة. فعاد الى سطح البحر واخبر رفاقهُ بما رأى فقرروا وجوب نسفها. على انهُ لم يتراجع عن اتمام العمل على ما فيهِ من المشقة والخطر بل غاص ثانية وجعل ينسف الدكة قطعة قطعة بمركب كيماوي خاص. وكان كلما وضع قليلاً منهُ يبتعد عن السفينة حتى لا يصاب باذى. ولما تمّ نسف الدكة تمكن من الوصول الى الكنز وهو ٥٩ سبيكة من الفضة ثمنها عشرة آلاف جنيه اصابهُ منها ٥٠٠ جنيه فقط. وكان لاشتغالهِ على عمق ١٨٠ قدماً تحت ضغط كبير اثر ضارّ في صحتهِ فلم يتمكن بعد انجاز عملهِ هذا من القيام باعمال تحتاج الى قوة وصبر وثبات

وغرقت الباخرة اوشانا Oceana في بحر المانش سنة ١٩١٢ واستقرت على عمق ٩٠ قدماً بعد اصطدامها بباخرة اخرى. ولما وصل الغواصون الى مكان الحادثة لم يروا من الباخرة سوى رؤوس سواريها. فارسلوا الى اصحابها يطلبون منهم رسومها لكي يتمكنوا من التجول فيها متى غاصوا اليها. ولا يخفى ان ركّاب السفن يرون بعض الصعوبة في التجول في باخرة جديدة لم يسافروا فيها قبلاً فكيف بالصعوبة التي يلقاها الغوّاص حين يتجول في باخرة تملأ المياه جميع غرفها. وغنيٌّ عن البيان ان المخاطر التي يتعرّض لها حينئذٍ عظيمة جدًّا فقد يضلُّ طريقهُ او ينقطع حبل النجاة او انبوبة الهواء او قد يدخل غرفة فيقفل الباب وراءهُ بقوة ضغط الماء فيسجن فيها ولا سبيل لاصحابهِ اليهِ

هذه المصاعب التي يلقاها الغوّاصون عامة في كل السفن تتضاعف في الباخرة اوشانا لكثرة المجاري المائية القوية المتعارضة في بحر المانش التي تمنع الغواصين من العمل اكثر من ساعة واحدة في وقت واحد. وكان الماء عكراً لكثرة الرمل المطلق فيهِ يمنع الغواصين من رؤية الاجسام في السفينة رغم المصابيح الكهربائية التي استعملوها فكانوا كالعميان يتلمسون طريقهم تلمساً

على انهم نسفوا دكتين من دكات السفينة فعثروا اتفاقاً على ممرٍ صاروا فيهِ فوصلوا الى الغرفة التي تحتوي جانباً من المال. فجعلوا يخرجونهُ سبيكة سبيكة. ولو ان المال كلهُ كان مخزوناً في هذه الغرفة لكان سهل عليهم انتشالهُ. الا انهم عرفوا بعد ما نقلوا محتويات هذه الغرفة ان مقداراً كبيراً من الفضة مخزون في قعر السفينة فاضطروا ان ينسفوا ثلاث دكات اخرى للوصول اليهِ. وجملة ما اخرجوهُ من هذه الباخرة يساوي ٧٠٠ الف جنيه